

(أنا لا أقولُ فما بَعْدُ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ)

في الشَّعْرِ لا أقولُ تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ

ولا أقولُ فما بَعْدُ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

لا أخافُ الفَوْتَ أبداً، أبداً

ذاكَ لأنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ شَمِيمِ

كُلَّ جُمْلَةٍ فِي نَمِّ عَرَارٍ نَجْدٍ

كُلَّ قَافِيَةٍ تَبْلُغُ فِي الْقَصِيدَةِ جَبَلٍ تَوَادِهَا

فأنا قيسُ لعتي الفذَّةِ وقصيدي ليلي

وأنا عنترةُ في لحظةٍ تقبيلِ سيوفٍ لَمَعَتِ

وأنا القصيدةُ تحيا في اتخاذهِ رمزاً انبعاثٍ، رمزَ حيويَّةِ

برمزيَّةِ عنترةِ تَخْلُدُ القصيدةُ لا برمزيَّةِ برومثيوس

برمزيَّةِ عنترةِ تَلْبَسُ القصيدةُ لباسَ شَعْبِيَّاتِهَا

لباسَ جماهيريَّاتِهَا، لباسَ نخويَّاتِهَا، لباسَ اشتهاَرِهَا

حيثُ إنَّ اشتهاَرَهَا عَفْوِيٌّ لا شِلَالِيٌّ مُصْطَنَعٌ

لكنَّ النصَّ الذي يَفْتَحُ لبرومثيوسَ مصراعيه

تبدو الورقةُ البيضاءُ ككفنٍ له

ويبدو الديوانُ كقبرٍ مجهولٍ لا زُورَ له

حتى إنَّ البرومثيين يشعرون بذلك

يمارسون لعبةَ النائحةِ المستأجرةِ لصرفِ أنظارِ المارَّةِ إلى دواوينهم

وقد يتبادلون دورَ النائحةِ فيما بينهم على سبيلِ المقايضة

حتى الأدونيُّون أمثالُهم في برودِ نصوصهم في يؤسرها

بَيْدَ أنَّ سيفَ عنتره حينَ يُلَوِّحُ في ميدانِ قصيدتي

يَخطفُ نظراً جدَّتي التي تُحصِّرُ الحَرَمَملَ والشَّبابَّ لَدفعِ إصابةِ العينِ عندِّي

عن قصيدتي التي صارت كلماتُها تُحفرُ على فصوصِ قلائدِ الحسناوات

صارت تَنسابُ مِنْ حناجرِ مُغَنِّيهَا

صارت مطلبَ مُرتادي مَقهى شَعبيٍّ في السوقِ

وصارت عما الباعةِ، صارت مُتَّكأَهُم الذي يُعِينُهُم على طلبِ الرزقِ

حتى بائعُ الرمانِ الطائفي صار يَتَغَنَّى بها، حتى بائعُ الرُّزِّ الحساوي

حتى بائعةُ اللقيماتِ، حتى بائعةُ الحنيني

حتى بائعُ طبطابِ الجذّةِ، حتى بائعُ اللبنيّةِ

حتى يَحْضِرَ أَلْفُ ابْنِ جَدِّي لِيُشْرَحَ قَصِيدَتِي، لِيُحَلِّسَ لَهَا

فَالنَّخَبُ مِنَ الذُّقَّادِ الْحَقِيقِيِّينَ يُقَدِّرونَ اِشْتِهَارَ الْقَصِيدَةِ

يُقَدِّرونَ شَعْبِيَّتَهَا، يُقَدِّرونَ نبضَهَا الحيَّ في قلوبِ الناسِ

أرأيتَ كيفَ التقطَ هذا التقديرَ أبو مُحَسَّنٍ

كيفَ خلَّدهُ، كيفَ قالَ إذا قَلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

فقد ذَكَرَ الدَّهْرَ وَأَرَادَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي امْتِدَادِ زَمَانِهِ

في امتدادِ الأزمنةِ التي يحويها الدَّهْرُ

حتى صيَّدَ السَّمَكُ أَرَادَهُ

حتى الباعةُ المتجولِّينَ

حتى صانعُ نايِ القصبِ، حتى الرعاةُ البارعينَ في العزفِ عليه

حتى ابنُ جَدِّ رِيَّاسِهِ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ رَهينِ دَهْرٍ، حتى رَهينُ المحبِّسينَ

حتى السيَّابُ الَّذِي تَعَلَّمَ الدَّرْسَ مِنْ أَبِي مُحَسَّنٍ

تَعَلَّمَهُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ

بعدما بَيْنَ العذارى باتَ يَنْتَقِلُ دِيوانُهُ

بين الفتياتِ اللاتي يُصعِّرنُ البروميثيونِ خدودَهم لهنَّ

مثلما يُصعِّرونَها لكلِّ قصيدةٍ صارت لها شعبيَّةٌ، صارت لها شهرة

كأنشودةِ المطرِ التي وصلت إلى حنجرةِ المُغذِّي

كقصيدةِ سِفْرٍ أيُّوبٍ أيضاً

كأبياتِ رُبٍّ ورفاءٍ هتوفٍ في المصحفِ

كقصيدةِ ابنِ أُذينةِ العذبةِ الشهيرة

ككُلِّ نصٍّ تَخفقُ لهُ القلوبُ قبلَ أن تلهجَ بهِ الألسنة

حَسَدًا، حَسَدًا تُصعِّرنُ الخدودُ لكُلِّ قصيدةٍ راقيةٍ باقية

حَسَدًا، حَسَدًا يتطايروُ كالحممِ منَ نفوسٍ لا تقدرُ على الإبداع

منَ نفوسٍ تسترُ خطابيَّةَ نصوصِها بغموضِ بروميثيَّتها الإحالي

تَتصنَّعُ عمقاً لا تَعرفُ كيف تبلغُهُ

حتى منْ شدَّةِ الفشلِ أمستْ تُردِّدُ كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا

أرأيتَ كيف يَحضرُ شعْرُ أبي مُحَسَّدٍ، كيف ينبضُ بالحياة

كيف يَتَمَتَّعُ بهِ الحُسَّادُ تنفيساً عن ضيقِ حالهم

عن مأزقيهم الذي سيبقى بعنادهم يدوم

وَأَنْتَ أَيْضاً عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَمَّنْ لَشِعْرِ أَبِي مُحَسَّسٍ دِكَ فِيمَا تَرُومُ

حِينَ تُبْدِعُ نَمَّكَ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ.